

## كلية اللغات، الآداب والفنون القنيطرة

شعبة اللغة العربية وآدابها  
أدب وفنون- الفصل الخامس  
مادة " الأدب المقارن "

الأستاذة: نورة لغزاري  
التاريخ: 7 دجنبر 2020

### الدرس البعدي الثاني:

❖ الإرهاصات الفلسفية والعلمية الممهدة لظهور الأدب المقارن:

نصوص من أجل التأمل (السلسلة الثانية):

#### النص الأول:

"العقل في استطاعته أن يستجوب الوقائع التي تفلت منه، أن يراجع ضبط علائقها بفضل طريقة يجهلها الميتافيزيقيون، وهو يضعها في الصف الأول، وهذه الطريقة هي التجربة، وكأنها ضمان وتأمين ضد الخطأ، ودواء لضعف حواسنا، وانحراف خيالنا. ولهذا صارت هي القوة النافعة التي قوضت معابد الباطل".<sup>1</sup>

#### النص الثاني:

"يؤكد كونت أن أخطر الأمراض يكمن في تلك الفوضى التي تحول دون تقرير مبادئ عقلية تكفل تحقيق التجانس. في القديم سيطرت الفلسفة اللاهوتية في حين أن الفلسفة الوضعية لم تتخذ طريقها حقا إلى العقول، إلا بعد تقدم الفلسفة الطبيعية ابتداء من القرن السابع عشر. النصر سيتحقق آخر الأمر للتفكير الوضعي. [حسب أوغست كونت] ولن يكون ذلك إلا إذا أمكن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الإنسانية. فالعلوم ظهرت تباعا بعد تحررها من التفكير الميتافيزيقي. فكانت العلوم الرياضية هي أول العلوم الأساسية وأكملها وأكثرها تجريبا، ثم جاءت علوم الفلك والفيزياء والكيمياء والحياة".<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- بول هازار: الفكر الأوروبي في القرن 18، ترجمة محمد غلاب، طبعة 1985، ص: 38.

<sup>2</sup>- محمود قاسم: دروس في الفلسفة الوضعية لأوجست كونت، تراث الإنسانية، المجلد 2، دون تاريخ، ص: 5.

### النص الثالث:

"نحن في منتصف القرن التاسع عشر، والتطور الهائل الذي طرأ على العلوم الفيزيائية والكيميائية والناجم عن الاستخدام الجديد لطريقة تفسير تنطلق من الوقائع إلى قوانينها تكسب ثقة لحدود لها، وهكذا سيطبقون طريقة توضيح علمي على المؤلفات الأدبية، وهذا يعني أن المؤلف واقع وهو نتاج الإنسان التاريخي والسيكولوجي والاجتماعي. وهذا يعني أن النقد لا يمكن أن يكون إلا حكماً موضوعياً، على الناقد أن يحكم بتجرد تام بتحليل البيئة والبلاد والثقافة التي ظهر فيها [الكتاب]. الأدب لا يعبر عن أخلاق المجتمع فقط، ولكنه مرتبط بالحوادث التي تصيب هذا المجتمع.

وقد خصص فيللمان للأدب الأجنبية جزءاً كبيراً من نقده، وباستطاعتنا أن نعتبره أحد المبشرين بالتاريخ الأدبي، وبالأدب المقارن.<sup>3</sup>

### النص الرابع:

"إن ما نستطيع أن نأخذه عن العلماء هو النزعة إلى استطلاع المعرفة والأمانة العقلية الصارمة والصبر الدؤوب، ثم الحاجة المستمرة إلى النقد والمراجعة والتحقيق.

وأنا لا أدري، أعلم ما سنعمله عندئذ أو لا، ولكنني على ثقة من أننا سنعمل خير تاريخ أدبي... وإذا فكرنا في مناهج العلوم، يجب أن يكون ذلك لبناء معارفنا.<sup>4</sup>

### النص الخامس:

"يهتم الناقد بالأديب باعتباره العلة الأولى المسؤولة عن ميلاد النص الأدبي.<sup>5</sup>

### النص السادس:

"يبنى هيوليت تين منظوره النقدي على تصور فلسفي يربط العلل بأسبابها ويؤمن بفعالية العلوم الطبيعية وإمكانية استغلالها لفهم الوجود ومظاهر التفكير.<sup>6</sup>

### النص السابع:

"أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكرت للبحث عن حقائق الأشياء، والناس يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل... والناس يعلمون أن هذا المنهج جدد العلم والفلسفة.<sup>7</sup>

### الأفكار الأساسية الواردة في النصوص:

<sup>3</sup> - كارلوني وفيللو: تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، ترجمة: جورج سعد يونس، د.ت. ص: 42-43.

<sup>4</sup> - محمد منذور: في الميزان الجديد، الطبعة 3، ص: 46-47.

<sup>5</sup> - Sainte Beuve : Causeries du lundi ; T1 ; p : 33.

<sup>6</sup> - H.Taine : Introduction à la littérature anglaise, Hachette, Paris// La fontaine et ses fables, Hachette 1907.

<sup>7</sup> - طه حسين في الأدب الجاهلي، دار المعارف ، ص: 67-68.

- 1- وصف لوظيفة العقل ودوره الفعال في القضاء على الأفكار الغيبية، وإحلال التجربة بدل الإيمان بالأحكام اليقينية الجاهزة.
- 2- يظهر النص فلسفة أوجست كونت الوضعية التي تؤمن بالعقل الذي أدى إلى ميلاد الكثير من الحقول العلمية.
- 3- تطبيق المقاييس العلمية لقراءة النصوص الأدبية، حيث سيتم التعامل مع الأدب على أساس أنه إفراز اجتماعي وتاريخي، تتحكم فيه البيئة والجنس والعرق والثقافة. ويقف النص على نقطة مهمة هي وصف الجو العام الذي سيمهد لظهور الأدب المقارن.
- 4- وجوب الاستفادة من مناهج العلوم لقراءة الأدب واكتشاف مظاهر الاختلاط الفكري والثقافي داخله (التأثيرات الداخلية والخارجية).
- 5- يظهر النص تبني النقاد الأوروبيين لمفهوم العلية أو السببية في دراسة الأدب، وهو أداة تستخدمها العلوم لمعرفة علة الظواهر وأسبابها (سبب تبخر المياه مثلا).
- 6- يؤكد النص السادس على ما جاء به النص الخامس، ولا غرابة أن صاحب النص الأول (سانت بوف) وصاحب النص السادس (هيوليت تين) من مؤسسي المنهج التاريخي المتأثر بالحقل العلمي.
- 7- ظهور الفلسفة الديكارتية لم يؤثر على مسار الفكر والفلسفة الإنسانييتين، بل تعدهما إلى تغيير طريقة قراءة الأدب بالتشكيك في مقاييس القراءة المعتمدة.

### خلاصات تركيبية:

لقد جئنا بهذه السلسلة الثانية من النصوص من أجل رسم ملامح الجو العام الذي بدأت تظهر فيه إرهابات ميلاد الأدب المقارن، ولعل تركيزنا على الجوانب العلمية التي صاحبت مجيء الدراسات المقارنة، سببه خلق المزيد من الاقتناع بأن الأدب المقارن مجال مفتوح على الفنون والعلوم، شريطة الابتعاد عن الانطباعية وعن التعصب لأشكال النقد التي رسمت لنفسها مجموعة من القواعد وظنت أنها خالدة.

يتطلب الأدب المقارن من الباحث موسوعية معرفية تتضمن العلم والفن والفكر والفلسفة ومناهج التحليل التي لا تخضع للتصميم القار، بل إنها متحولة بتحول حقول الاشتغال.

بهذه النصوص نضع ملامح درس جديد يحاول قراءة الأدب بطريقة مختلفة ولا يسجنه داخل القواعد الجامدة التي يفترض تفجيرها و تطويرها بما يلائم مستجدات العصر والتاريخ والأفكار.

وبعودتنا إلى أوروبا، نجد أنه قبل انتشار الفكر الديكارتى والفلسفة العقلانية، كان هناك اعتقاد بوجود نموذج فذ للكمال، يتجلى في الجماليات التي ذكرها أرسطو في فن الشعر. لكن مع تقدم العلوم أصبح ينظر إلى الأدب كما ينظر إلى الظواهر الطبيعية وإلى المبدع مثل حقل فيزيائي تتحكم في تحوله مجموعة من القوانين.

لهذا نجد الناقد الفرنسي سانت بوف يشرح الذات المبدعة، مستفيدا من قانون ظاهرة العلوم الطبيعية، علما بأن سانت بوف درس العلوم قبل دراسته للأدب. فصنف المبدعين آخذا بعين الاعتبار عوامل الزمن والجنس والبيئة، وتأثير تلك العوامل في الإبداع، إضافة إلى تأثير العوامل التاريخية.

في هذا الجو العام الذي تسمه العلمية والتأثر الكبير بحقل العلوم والتاريخ والتعدد الفكري واللغوي،  
ستظهر الإرهاصات الأولى للدرس الأدبي المقارن.